

أثر العلم الشرعي في حماية المجتمعات من

الفتن

السيرة

د. هشام بن خليل الطوسي

حفظه الله



@baynoonanet



قام بها فريق التفریغ في

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفریغا لمحاضرة

بعنوان

أثر العلم الشرعي في حماية المجتمعات من الفتن

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

حفظه الله تعالى

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد.

فحيا الله هذه الوجوه النيرة الطيبة التي نسأل الله عز وجل بأسائه الحسنة وصفاته العلاء أن يجمعنا بكم في جنات العلاء، ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما تعلمنا أن يزيدنا علما؛ إنه سبحانه سميع قريب مجيب.

إخواني في الله، حديثنا في هذه الليلة عن أثر العلم على المجتمعات، وبالذات في أمور الفتن ووقاية المجتمعات من الفتن، إذ كما تعلمون أن الله عز وجل رفع من شأن

العلم ورفع من شأن المتعلمين في كتابه سبحانه وتعالى فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

فالله عز وجل بيّن لنا شأن هذا العلم، والعلم الشرعي الذي هو أساس هذه العلوم، وهو الذي به حياة المسلم وسعادته، وحياة الإنسان وسعادته في الدارين في الدنيا وفي الآخرة، وهذا العلم الشرعي الذي حثنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وأمرنا به ربنا سبحانه وتعالى به حياة الإنسان وسعادته واستقراره وأمنه وثباته على الحق بإذن الله تعالى إلى أن يلقي ربه سبحانه وتعالى.

والعلم الشرعي له فوائد عظيمة وله ثمرات كثيرة على المرء المسلم، وعلى الفرد والجماعة، إذ كما تعلمون أن العلم ضروري والإيمان ضروري للمسلم وللإنسان سواء كان مسلماً أو كان كافراً؛ إذ به سعادته ولا تكون سعادته إلا بهذا العلم وبهذا الإيمان، وهو كما قال أهل العلم قالوا: إن العلم أكثر أهمية للإنسان من الطعام والشراب، فالطعام والشراب إن فقدته الإنسان فقد حياته الدنيوية، لكن العلم إن فقدته فقدَ به حياته الدنيوية والأخروية، نسأل الله أن يعافينا ويسلمنا، ومن هذه الأمور التي علمنا إياها نبينا صلى الله عليه وسلم ما نقي بها أنفسنا ونقي به مجتمعاتنا في هذه الفتن وفي هذه القلاقل والمحن، فالنبي ﷺ شرع لنا وبين لنا هذه الأمور بيانا شافيا كافيا لا يدع مجالاً للشك ولا يدع مجالاً لشخص أن يتكلم ويقول: هذا حدث في زماننا ولم يحدث في زمن النبي ﷺ.

ومن هذه الفوائد نقف في هذه الليلة - حتى لا نطيل عليكم - نقف عدة وقفات في أثر العلم الشرعي في حماية المجتمعات من الفتن:
فأول هذه الآثار التي حثنا عليها شرعنا الحنيف هو:

١ - السمع والطاعة لولي الأمر وإن جار وإن ظلم، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الَّذِينَ فِيكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وفي عسرنا ويسرنا وأثرة علينا^(١). أي: إذا رأينا استئثارا بالمال، واستئثارا بالمنصب، واستئثارا بكذا، مع ذلك نبايع على ماذا؟ على السمع والطاعة، بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، في عسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله.
هكذا بيّن لنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه في هذا الحديث الشريف.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم: «(عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك)»^(٣)

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم.



وكما تعلمون كما قال عمر رضي الله عنه: (لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة).^(١)

والسمع والطاعة فرضه الله سبحانه وتعالى علينا على من ولاه الله أمرنا وعلى ولاة أمورنا لا نقول غير هذا، بل نسمع ونطيع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وإن تأمر عليك عبد مجدع الأطراف**»^(٢) فالسمع والطاعة من الأصول المقررة التي قررها علينا ديننا الإسلامي الحنيف، وهذه من فوائد هذا العلم الذي نتعلمه، وهو أن السمع والطاعة أصل مقرر عند أهل السنة والجماعة.

٢- والأصل الثاني الذي قرره ديننا وقرره نبينا صلى الله عليه وسلم هو الدعاء للحاكم، والنهي عن سبه والتشهير به، وإثارة الناس عليه، بل وكف اللسان عن إثارة هذه الفتن، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**»^(٣)

وكما في البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام أفضل؟ فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٤)

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»^(٥).

(١) أخرجه الدارمي في السنن (٢٥٧).

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

ويقول أنس رضي الله عنه نهانا كبراًؤنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: (لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب).^(١)

إخواني الأفاضل، من يسمع هذه الأحاديث ويرى ما هو في الواقع المشاهد أو المسموع يرى تناقضاً عجيباً بين الناس وبين شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا باقتفائه، وأمرنا باتباعه، وأمرنا أن نقول: سمعنا وطاعة لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ولا نجادل ولا نماري في مثل هذا، فإذا صح الأثر وصح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فبه نقول.

فالعلم كما قال أهل العلم:

العلم قال الله قال رسوله .. قال الصحابة هم أولو العرفان

فهذا الصحابي أنس رضي الله عنه يحكي عن من؟ يحكي ويقول: سمعنا من كبرائنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا الأمر كان أمراً مقررًا، أمراً مستقرًا، لا نزاع فيه، لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب.

ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: (إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه)، وأخرج ابن عبد البر في التمهيد عن أبي إسحاق السبيعي -رحمه الله تعالى- قال: ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره.^(٢)

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٠١٥).

(٣) التمهيد ٢١ / ٢٨٧.

كما أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن ابن المبارك - رحمه الله تعالى - قال: من استخف بالعلماء ذهب آخرته ومن استخف بالامراء ذهب ديناه.^(١)
وقال معروف الكرخي - رحمه الله تعالى - : من لعن إمامه حرم عدله^(٢). يعني من سب إمامه حرم عدله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : كان السلف - كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما - يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعوناها للسلطان.^(٣)

وقال الفضيل لما سئل عن هذا وسئل عن السب: لم تقول هذا الكلام: لو كانت لك دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان، فقال: إذا دعوتها في نفسي لم تعدني - يعني: لم تتعداه - وإذا دعوتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد^(٤). فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

واسمع مقالة البرهاري - رحمه الله تعالى - في شرح السنة إذ يقول: وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.^(٥)

(١) تاريخ دمشق ٣٢ / ٤٤٤.

(٢) الفوائد والأخبار لابن حنبل (٨١).

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٣٩١.

(٤) شرح السنة للبرهاري (١٢٧).

(٥) شرح السنة (١٢٧).

إخواني، هذا الكلام لما نذكره لا بد أن يستقر في قلوبنا كما أنه مستقر في أسماعنا؛ إذ هذا الأمر أمر مقرر، به تتجنب الأمة الفتن، وبه يتجنب الناس القلاقل والمحن التي نراها شرقا وغربا، إذ والله لو اتبعوا شرع محمد صلى الله عليه وسلم لما حصلت هذه الفتن، ولما سفكت هذه الدماء، ولما أزهقت هذه الأرواح، فشرع محمد -والله- خير دين ظهر على وجه هذه الأرض، وخير دين للمسلم وللکافر؛ إذ بهذا الدين ينعم المسلمون وينعم كذلك غير المسلمين، ولكن من يعقل هذا الكلام، ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

نقف وقفة ثالثة مع أقوال الصحابة رضي الله عنهم وقبل ذلك أقوال نبينا صلى الله عليه وسلم في هذه الأمور، وهي أصل عظيم عند أهل السنة، وهي مناصحة ولاة الأمر والتماس الأعذار لهم.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف: ((**إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة**) قالوا: لمن يا رسول الله قال: «**لله وكتابه ورسوله، وأئمة المؤمنين، وعامتهم، أو أئمة المسلمين، وعامتهم**»)).^(١)

ويقول صلى الله عليه وسلم -كما ثبت عنه في حديث زيد بن ثابت رحمه الله تعالى-: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم**» أي: ثلاث خصال إن وجدت في قلب المسلم نفت الغل والحسد والبغضاء والصفات السيئة من قلبه، فما هي هذه الصفات

(١) أخرجه مسلم .

الثلاث؟ ((إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم)).^(١)

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-: أي لا يحمل الغل، ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنها تنفي الغل والغش وهو فساد القلب وسخائمه.^(٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)).^(٣)

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: من الذي يناصرح ولاية الأمر؟ هل كل من هبّ ودبّ؟ وهل لا يراعى في ذلك المقام، مقام ولي الأمر؟ وهل تفرغ ولي الأمر أن يناصرحه كل أحد؟ لا.

فنقول: المناصحة تكون من أهل الحل والعقد؛ إذ مقام الإمام ومقام الحاكم رفيع، لا ينبغي لكل أحد، لكل من هبّ ودبّ أن يأتي ويقول: أنا أناصحه هذا الأمير، أو أنا أناصحه هذا الحاكم، كلا، فالأمر ليس بهذا، فلا بد من مراعاة المقام، هذا أول أمر.

الأمر الثاني: أن يكون ذلك برفق ولين وطيب كلام.

(١) أخرجه أحمد (٥ / ١٨٣)، والدارمي رقم (٢٣٥)، وابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علماً

رقم (٢٣٠)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) مفتاح دار السعادة ١ / ٧٢.

(٣) أخرجه مسلم .

الأمر الثالث: أن يكون ذاك بسرية تامة لا تخدش حياء هذا الإنسان أو تخدش منه ما تخدش، فلا بد أن يراعى في هذا مقام الإنسان، إذ كما يجب للإنسان لنفسه أن لا يغلظ عليه في القول أمام الملاء، كذلك ماذا؟ حب لأخيك ما تحب لنفسك، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: ((**فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**)).^(١)

فأنت لا ترضى أن يناصحك أحد أمام الملاء وعلى رؤوس الأشهاد فكذلك كيف تفعل وتأتي وتتجراً على دين الله ويركب البعض على المنابر ويهتفون أمام الناس وأمام الملاء بأن فلانا كذا والحاكم الفلاني كذا؟! فإذا كنت لا ترضاه على نفسك فكيف ترضاه وترجو أن يقبل منك هذا؟

دعاة الفتنة جاؤوا إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه، فقالوا له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟! -يعني: هل من الضروري أني إذا كلمته أن أسمعكم وأن أخبركم - والله لقد كلمته فيما بيني وبينني ما دون أن أفتح أمراً ما أحب أن أكون أول من فتحه.^(٢)

هكذا الصحابة رضي الله عنهم لا يفتحون أبواب الشر على الناس، بل هم مفاتيح للخير مغاليق للشر، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الأثر -أي: في تفسيره لكلام أسامة-: أي كلمته فيما أشرت إليه لكن على سبيل المصلحة والأدب في السر بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنة أو نحوها.^(٣)

(١) أخرجه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) فتح الباري ١٣ / ٥١ .



وعن عياض بن غنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له)).^(١)

يقول الشوكاني -رحمه الله تعالى-: ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل يأخذ بيده ويخلو به ويبدل له النصيحة.^(٢)

وقال النووي -رحمه الله تعالى-: أما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتآلف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي رحمه الله ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة.^(٣)

بعض الناس إذا كان ولي أمره يعطيه تجده راضيا مرتاحا ليس في كلامه إلا الكلام الجميل، لكن إن نقص من ماله شيء أو لحقه ضرر سلط لسانه وأطاله في الكلام على مثل هذه الأمور.

(١) أخرجه أحمد (٤٨ / ٢٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٠٩٦).

(٢) السيل الجرار (ص ٩٦٥).

(٣) شرح مسلم ٣٨ / ٢.

نقول: احذر يا عبد الله، احذر أشد الحذر؛ يقول نبيك صلى الله عليه وسلم:

((السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرم الله، ومن أهانه أهانه الله))^(١)

والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.^(٢)

ويقول سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله تعالى -: لا يزال الناس بخير ما

عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا

استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم.^(٣)

يقول النبي صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي سمعناه -: « لا يغفل عليهن

قلب مسلم»، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» يقول ابن حجر -

رحمه الله تعالى -: والنصيحة لأئمة المسلمين إيعانهم على ما حملوا القيام به وتنبههم

عند الغفلة وسد خلتهم عند الهفوة وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن.^(٤)

الوقفة الرابعة: هي التحذير من الخروج عليهم: يقول النبي صلى الله عليه

وسلم - كما جاء في حديث حذيفة، والحديث طويل وفيه -: ((تسمع وتطيع للأمر،

وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع)).^(٥)

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٤).

(٢) انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١٠٢٤).

(٣) تفسير القرطبي ٥ / ٢٦٠.

(٤) فتح الباري ١ / ١٣٨.

(٥) أخرجه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم - كما جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننازدهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة»^(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع)) قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا^(٢). وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية))^(٣) فقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في تعليقه على هذا الحديث: قال بن أبي جمرة المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فكفي عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق^(٤).

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) فتح الباري ٧/١٣ .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - كما رواه عنه اللالكائي - رحمه الله تعالى - في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، قال: ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.^(١)

وقال الطحاوي - رحمه الله تعالى - في عقيدته المعروفة: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا نزرع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز و جل فريضة ما لم يأمرنا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

ويقول بعض أهل العلم في نقلهم عن عقيدة أهل السنة كما نقلها حرب الكرماني - رحمه الله تعالى - في تفسيره لقول أهل السنة: ما لم يأمرنا بمعصية: فإن أمرنا بالإمام بمعصية الله فليس لك أن تعصي الله البتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا أن تمنعه حقه، الدين دين، لا مجاملة، ومعصية الله لا تنبغي، ولكن هل يستلزم من ذلك كما يفعل البعض أن يتجرأ الناس على السلطان بالكلام عليه ونبذه والتسفيه منه؟ كلا والله، يقول: ولا تخرج عليه، ولا تشهر سيفك، ولا تمنعه حقه.

وما معنى حقه؟ هو طاعته والسمع والطاعة الذي قد أمرنا الله عز و جل به، هذه هي الوقفة الرابعة.

الوقفة الخامسة: وهي مواقف أهل السنة رحمهم الله تعالى مع هذه الفتن، وأسرها بشيء من السرعة؛ لأن المواقف كثيرة ولا يسعنا الوقت.

الموقف الأول: في عام ثلاث وستين حدث أن جاء بعض أهل المدينة إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأرادوا الخروج على يزيد بن معاوية بسبب شربه للخمر

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٥

وتركه بعض الصلوات، فأنكر عبد الله بن عمر هذا الصحابي الذي تعلم هذا الدين القويم من النبي صلى الله عليه وسلم، أنكر عليهم وجمع أولاده وبنيه ثم تشهد فقال: أما بعد، فإننا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان))

ولفظ البخاري -رحمه الله تعالى- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال لبنيه وأهله: وإني لا أعلم أحدا منكم خلعه -يقصد: يزيد بن معاوية وهو الذي كان حاكما على المسلمين ذاك الوقت- ولا بايع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه^(١). فانظر إلى هذا الصحابي الجليل كيف فهم الدين من هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأنكر هذا الأمر مع أن الإمام الذي كان في زمنه -كما جاء في سيرته- يشرب الخمر ويترك بعض الصلوات، ولو كان في زماننا لكفروه ولقاموا عليه واستحلوا دمه، فانظر إلى هذا الإمام المبارك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يعلمنا ويبين لنا هذا الدين، أن الدين ليس بمجرد أنك تعرف هذا الأمر حلال أو حرام قمت فشهرت سيفك وسببت ولعنت وأخذت تسب وتلعن، لا، ليس الدين هكذا، وإنما الدين قال الله وقال الرسول عليه الصلاة والسلام.

الموقف الثاني: موقف الحسن البصري -رحمه الله تعالى- عندما جاءه بعض الناس يريدون منه الخروج على الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن منا لا يعرف الحجاج؟ الذي قتل من قتل، وسفك دماء من سفك، بل واستهان ببعض الصحابة وحقرهم وتناول على دين الله عز وجل، مع ذلك كله اسمع ما يقوله الحسن

(١) أخرجه البخاري .

البصري - رحمه الله تعالى - قال: والله لا يستقيم الدين إلا بهم - يعني: إلا بولاية الأمر - وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، هكذا أهل العلم، يراعون المصالح والمفاسد المترتبة على هذه الأمور.

الموقف الثالث: موقف إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - لما جاءه فقهاء بغداد يريدون منه أن يخلع الخليفة الواثق بالله، لماذا؟ لأنه أهان أهل العلم، بل ومنهم الإمام أحمد نفسه ضرب وأهين وعذب - رحمه الله تعالى - في زمن الواثق ومن قبله كذلك، فأرادوا منه أن يخرج على الخليفة؛ لأنه عذب أهل العلم وأهانهم واحتقرهم، بل وقال بخلق القرآن، والقول بخلق القرآن كفر كما قرره أهل السنة، مع ذلك ماذا قال لهم أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - قال: عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر.^(١)

وكما نقل عنه - رحمه الله تعالى ورضي عنه - قال: هذا خلاف الآثار، أي: أن ما جاء في سنة محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو الصبر وعدم الإنكار بالسب باللسان والشتيم، وإظهار النكير وتجميع الناس ضد ولاية الأمور؛ فكل هذا ليس من دين الله عز وجل، والإسلام من بريء.

وأخيرا إخواني في الله، الوقفة الأخيرة: وهي نصيحة أقدمها لنفسي أولا ولإخواني ثانيا، وهي أن المسلم يرى ما حوله من تفرق وتشرذم وتشتت في الآراء والأقوال، وما عليه الناس من طوائف وفرق وجماعات، وكل يدي بدلوه، فكل يقول: هكذا كان دين المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهكذا كان، ونحن سمعنا

(١) السنة للخلال ١ / ١٠٤ - ١٠٦ (٨٩ - ٩٢).

ووعينا قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول صحابته الكرام، وقول التابعين لهم بإحسان، وإنكارهم لهذه الأمور، فينبغي أن نشبث بما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من السمع والطاعة لولاة المر، وهذه هي ثمرة من ثمار العلم الشرعي، فالعلوم الشرعية ينبغي علينا أن نغرسها في قلوب أبنائنا، وفي قلوب بناتنا لكي ينمو هذا الجيل على معرفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي قلنا ونؤكد ونقول: إنها هي المنجاة للناس وهي الخير للناس أجمعين، فلا يصلح الناس إلا بما صلح به أول هذه الأمة وهي اتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا ينبغي الاغترار بقول كائن من كان، بل علينا أن يكون قائدنا هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

فاجعل سنة النبي صلى الله عليه وسلم أمامك وهي التي تقودك يمينا ويسارا، لا أنك تقود السنة بمحض عاطفتك، وبمحض أقوال فلان وفلان، كلا، السنة هي التي تنجيك، وهي التي توصلك إلى بر الأمان بفضل الله عز وجل ورحمة منه وإن من أعظم النعم على الشاب المسلم أن يوفق لصاحب سنة يدلّه على الخير ويأمره بالمعروف ويبين له المزالق ومهاوي الردى، والمواضع التي تزل فيها أقدام بعض الناس.

وكما قال عبد الله بن شاذب -رحمه الله تعالى-: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك -يعني: في بداية أمره إذا بدأ في العبادة وبدأ بالاهتمام بهذا الدين- أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها.^(١)

(١) الإبانة لابن بطة (٤٣).

فاحذروا معاشر الإخوان، واحذروا أيها حذر من دعاة الهوى ومن أصحاب الأهواء، ومن يهيجون الناس ويضللونهم وينسبون ذاك إلى سنة المصطفى أو إلى كلام فلان وفلان من أهل العمل، وقولوا: سمعنا لربنا وسمعنا لنبينا صلى الله عليه وسلم وأطعنا، ولا نقدم قول فلان أو فلان على كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم.

هذا وآخر ما نقول: الحرص الحرص على مثل هذه الدروس العلمية التي نسأل الله تعالى أن يوفق القائمين عليها، وأن يجزل لهم المثوبة وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، وأن يوفقهم للقيام بشرع الله عز وجل واتباع السنة والبعد بالشباب عما يصرفهم من فتن ومن تحزبات ومن أمور لا تليق بدين الإسلام، وليست من الدين في شيء.

نسأل الله عز وجل أن يبارك لنا في أئمتنا وولاة أمورنا ويحفظهم ويرعاهم ويرزقهم البطانة الصالحة، ويجعلهم رحمة لرعاياهم.

ونسأل الله تعالى أن يبارك فيهم وأن يحفظهم وأن يباعد عنهم ويبعد عن بلادنا خاصة وعن بلاد المسلمين عامة الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن.

كما نسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحفظ المسلمين في شرق الأرض وغربها، وأن يحقن دماء المسلمين في شرق الأرض وغربها، اللهم احفظ دماء المسلمين، اللهم احفظ عوراتهم، اللهم آمنهم في دورهم وفي أوطانهم، اللهم احفظهم واسترهم واحفظ عوراتهم وآمن روعاتهم.

اللهم احقن دماءهم يا رحيم يا ودود، اللهم الطف بنا والطف بإخواننا المسلمين في شرق الأرض وغربها، اللهم كن لهم ولا تكن عليهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ما قلناه في موازين حسناتنا وأن يرزقنا وإياكم
الإخلاص في القول والعمل، هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله
وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سؤال: عن قضية الأخبار والانشغال بها عن الدروس وأهمية العبادة في هذا الوقت؟

الجواب: لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالعبادة في زمن الهرج، في مثل هذه الأزمان بأن يتقرب المسلم ويزداد بالقربى إلى الله عز وجل، فإذا كانت مثل هذه الفتن لا تهز المسلم ولا تشعره بمدى بعده عن الله عز وجل فمتى سيتحرك قلبه؟ ومتى سيشعر هذا الإنسان؟

إخواني لو تنظرون إلى حال السلف رحمهم الله تعالى، والله، إن الواحد منهم كان إذا سمع آيات الله تتلى، وإذا سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم يجر مغشيا عليه ولا يتحمل من شدة تعظيمه لكلام النبي صلى الله عليه وسلم.

أما قضية الانشغال بالأخبار والسماع من هنا ومن هناك من بعض القنوات مما قد يكون صوابا وقد يكون خطأ، فينبغي على المسلم أن لا يشغل وقته بمثل هذه الأمور؛ لأنها تصرفه عما أوجبه الله عز وجل هليه من واجب شرعي وهو عبادة الله عز وجل، والتقرب إليه عز وجل، ولا ينبغي للمسلم أن يفتح آذانه لكل من تكلم؛ لأن الساحة مليئة بالعث والسمين، مليئة بالأخبار الطيبة والأخبار السيئة، مليئة بالأخبار التي فيها سموم تدس للمسلمين وأمور فيها نفع للمسلمين ولا يميز هذا من ذلك إلا من تعلم العلم الشرعي؛ لأن صاحب العلم الشرعي له ميزان يزن به الأقوال إن كان موافقا للسنة أخذ به، وإن كان مخالفا للسنة رده ولكن إذا خاض الإنسان في مثل هذه الأمور بدون علم وبدون وعي فماذا سيأخذ؟ وماذا سيرك.

فأوصي نفسي قبل ذلك بتعلم العلم الشرعي؛ لأنه هو الذي سينجيك، وأوصي كذلك من يوليه الله عز وجل شيئا من أمور المسلمين أن تهتم بالأمور العلمية: بتعليم

الناس وبتعليم الشباب؛ لأنهم هم الذين سيدفعون عنك البلاء والمحن في يوم تكون فيه مثل هذه الأخبار وبالاعلىنا؛ إذ هذه الأخبار غايتها المصالح، وأما الشباب الذين تربهم وتنشئهم تنشئة صالحة تربية على دين محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه هم الذين سيقفون وقفة رجل ويناصحون ويبينون ويرحمون الناس ويوضحون دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نطيل عليكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



www.baynoona.net



شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولتنا

الإمارات العربية المتحدة